قراءة نقدية في (رو اية ملحمة الجلمود)

للرو ائية القطرية شعاع اليوسف

A critical reading for the novel (Malhamat Al Jalmoud)

By the Qatari Novelist Shuaa Al Youssef

سمية تيشة

إعلامية وباحثة في مجال الأدب والنقد

فريق السرديات والدراسات الثقافية بجامعة قطر

Sooomy_212@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 2024/07/26	تاريخ: القبول: 2024/11/14	تاريخ النشر: 2024/12/31

الملخص:

تقدم هذه الورقة قراءة نقدية لرواية "ملحمة الجلمود"، للروائية شعاع اليوسف[1]، إذ تنبع أهمية "ملحمة الجلمود" من كونها أحد أهم المراجع التاريخية والتراثية لمنطقة الخليج العربي، التي شهدت على مر العصور الكثير من الحروب والصراعات أدت إلى تغيير ملامح الحياة والطبيعة فيها، إذ تهدف هذه الورقة إلى الوقوف على القضايا المركزية والاجتماعية المسكوت عنها التي تناولتها الرواية، والتي أثارت جدلًا واسعًا على نطاق المجتمع الخليجي، والمجتمع العربي بشكل عام.

يُقدم الجزء الأول من الورقة، سردًا تحليليًا لأهم أحداث الرواية وتحولات مجرياتها، فيما يقدم الجزء الثاني تحليلًا لأهم القضايا التي عكستها الرواية، لا سيّما القضايا الاجتماعية الكبرى في المجتمعات الخليجية، أما الجزء الثالث فيقدم ملخص الورقة واستنتاجاتها.

كلمات مفتاحية: ملحمة الجلمود، التاريخ، التراث، المرأة والمجتمع، التصوف.

Abstract:

This paper presents a critical reading of the novel "Malhamat Al Jalmoud" by novelist Dr. Shuaa Al-Yousef, The importance of the novel initiated from its importance of historical and heritage references for the Arabian Gulf region, which has witnessed throughout the ages many wars and conflicts that led to changing the features of life and nature there.

This paper aims to identify the central and social conflicts that are not covered by the novel and which raised The first part of the paper provides an analytical account of the most important events of the novel and the changes in its course, while the second part provides an analysis of the most important issues reflected in the novel, especially the major social issues in Gulf societies. The third part provides an analysis of the most important issues reflected in the novel. Summary of the paper and its conclusions.

Keywords: Malhamat Al Jalmoud; history, heritage; women and society; Sufism.

1.مقدمة:

يُعد البحث في التاريخ والعودة إلى الماضي جزءًا من إصرار الإنسان على البقاء والاستمرارية، فالإسلام دين تاريخي يحمل في ذاته فكرة تاريخية عميقة، إذ أعطت العقيدة الإسلامية تصورًا واضحًا للكون منذ الخلق إلى يوم البعث، وربطت بينهما بحلقات الأنبياء والرسل، فظهرت فكرة الاهتمام بالتاريخ العربي والإسلامي وذلك تلبية للحاجات والمشاعر الدينية.

وتكمن أهمية التاريخ في تسجيل الأحداث على أرض الواقع بكل تفاصيلها، ودراسة التجربة الإنسانية أو بعض جوانبها وفهم طبيعة الحياة على الأرض، فالتاريخ في أدق تعريفاته هو: " العلم المتعلق بالماضي البشري، وهو ذاك الذي يدرس صيرورة الأرض، السماء، وأنواع الكائنات، وكذا الحضارة"[2]، وهو يقوم بـ"تسجيل الأحداث التي صنعها الإنسان بهدف تخليدها وجعلها حية في أذهان الناس يستعيدونها في أي وقت يشاءون، ويستفيدون من دروسها"[3]. فالتاريخ هو التأكيد على التاريخ البشري وما يترتب عليه من حروب وصراعات وغير ذلك.

وفي تجربتها الروائية الأولى "ملحمة الجلمود"، الصادرة عن دار زحمة كُتّاب للنشر عام 2021، وثقت الروائية شعاع اليوسف تاريخ وأحداث حقيقية وقعت في ثلاث دول خليجية بين الأعوام(1932-2018)، ما يمكن عدّها بمثابةِ مرجعا تاريخيا يمكن العودة إليه والاستفادة منه، فكانت البداية من مدينة الأحساء بالمملكة العربية السعودية -مسقط رأس البطل الجلمود- الشخصية الرئيسة التي تدور حولها أحداث الرواية، تلتها مملكة البحرين إذ قضى الجلمود فيها فترة المراهقة والشباب بحثًا عن المال والرزق الوفير، ثم مرحلة انتقاله إلى دولة قطر وبقائه فيها حتى وافته المنية عام 2018.

إذا تدور أحداث الرواية -التي تقع في سبعة فصول- حول البطل "الجلمود" الذي يتميز بهمة عالية وثقافة متوارثة، فقد اجتهد خلال فترة المراهقة والشباب لجمع المال الوفير عندما قرر الانتقال إلى مملكة البحرين، ثم قطر، الأمر الذي دفعه إلى أن يتزوج ثلاث مرات، فكان زواجه الأول من أرملة بحرينية، تكبره بسبع سنوات، أما زواجه الثاني فكان من فتاة سعودية

اختارها له والده ، فأحبها حبًا جما، على عكس زوجته البحرينية التي كانت سيئة الخُلق، بذيئة اللسان، بينما زواجه الثالث كان من فتاة قطرية اضطر أن يتزوجها لعدم تمكن زوجته الثانية من مرافقته إلى قطر بسبب مرضها وضعف أطفالهما من الناحية الصحية، وتفضيلها العيش وسط أهلها في الأحساء، فارتبط بزوجته الثالثة عاطفيًا وفكريًا وعاش بقية حياته في قطر حتى وافته المنية.

أنجب الجلمود من زيجاته الثالثة اثنا عشر ولدا (سبعة صبيان وخمس بنات)، عاشوا جميعا بصحة جيدة، وقد اجتهد لجمع المال الوفير إلا أنه نهب من إخوانه، الذين أنكروا فضله عليهم، مما تسبب في عديد المشاكل والأزمات النفسية والجسدية، فكان يلجأ إلى مناجاة الله عز وجل والتأمل، زاهدا في جميع تفاصيل حياته.

كتب أحد أبنائه في وصفه:" كان أبي إصلاحيًا بامتياز، يحب النظام والنظافة وإصلاح الأمور جميعها لو مالت عن مسارها الطبيعي، يلتقط ما يقع على الأرض بنفسه، ولو رأى شرشفًا مائلًا على الطاولة فلابد أن يمد يده ويصلح وضعه، كان أبي متوسطًا في كل أموره وسلوكه وآرائه، يطبق أسس الديمقراطية في كل قراراته ويشاورنا في كل شاردة وواردة"[4] إلا أنه كان ينتهج "الصرامة عند تعليم الدين والأخلاق لأبنائه"[5]، في تأكيد على الاعتدال والوسطية في نهج الجلمود الذي لم يتخذ أي موقف سلبي تجاه أي مذهبٍ أو طائفة إسلامية، بل كان ينهى عن المنكرات ويأمر بالمعروف ويقر بالفضائل التي أتت بها جميع الأديان، ثم أنه كان كثير الحفظ لأبيات الشعر العربي المليئة بالحكمة والموعظة الحسنة، وحافظا للقرآن الكريم.

فيما كتبت ابنته الصغرى:" أبي الساذج فكان مغيبًا عنا، ولم يظن بعياله إلا الخير، كيف لا؟ ولم لا؟ هو يعتقد أنه قد رباهم أحسن وأفضل تربية"[6]، ثم تضيف:" كان أبي ظالمًا، حيث مارس التفرقة الواضحة بين عياله، ولم يكن عادلًا معهم في العطاء المادي، ولا حتى في المودة وتجاذب أطراف الحديث"[7]، الأمر الذي يجعل القارئ يقف أمام شخصيتين مختلفتين، إحداها تتميز بالعدل والحكمة والإصلاح ، والأخرى ظالمة مُستبدة، تمارس التفرقة بين أبنائها!

تلازمنا حالتي الحيرة والشك حول شخصية الجلمود منذ الصفحات الأولى للرواية حتى نهايتها، فتكثر الأسئلة في ذهننا كقراء، فنبدأ نبحث عن كل التفاصيل، لا سيّما أن الكاتبة شعاع اليوسف استبدلت، بطريقة إبداعية، "الإهداء" بـ"تنويه"، وهي عبارة عن كتابات بعض أبناء وبنات الجلمود تتعلق بتفاصيل حياة والدهم وتاريخ تنقلاته على هذه الأرض ودوره في حل مشاكلهم وتكوين شخصياتهم، ليضيفها الابن البكر ضمن هذه الملحمة التاريخية الضخمة التي وقعت في سبعة فصول انطلقت من نشأة الجلمود حتى وافته المنية في قطر.

2. ملامح النقد في الرو اية:

1.2 التاريخ والنشأة:

لا يمكن لأي رواية أن تنشأ من العدم، فنشأتها الحقيقية ترتبط دائمًا بظروف سياسية واجتماعية واقتصادية، فالروائي الواقعي "يصف مجتمعا ويصف الإنسان في المجتمع، طواعية أو صراحة متوخيا الدقة التاريخية والاجتماعية"[8]، ذلك أن الرواية هي انعكاس للحياة الواقعية، وحياة البشر وتاريخهم، إذ تهدف بالدرجة الأولى "إلى التكلم عن حياة البشر وعن المجتمعات التاريخية والتأكيد على تاريخ بشري يعيشه البشر أنفسهم، أو يعيشه البعض على الأقل".[9]

تروي "ملحمة الجلمود" ما شهدته مدينة الأحساء والبحرين وقطر من حروب وصراعات على مر السنين. فقد استطاعت الكاتبة شعاع اليوسف من خلال لغة سلسة وواضحة أن تمنح الشخوص حياة وحيوية حتى لا تكاد تصدق أنك تقرأ تاريخًا بل تعيش واقعًا حيًا، ترى وهجه وتحس نقع غباره! فبمجرد أن تقرأ سطور هذا النص السردي، تكتشف أن مقولة "التاريخ يعيد نفسه" صحيحة وصادقة، فبعض الوقائع المسجلة نراها اليوم وتحديدًا مع أحداث غزة! إذ يصف الجلمود أهوال الحرب فيقول:" لا أذكر من أهوال الحرب العالمية الأولى شيئًا غير حرص أهالي الأحساء على توفير المؤونة الغذائية، والتقتير على أنفسهم إلى حد الجوع، وإلى درجة أن الناس قد لعقت أكياس التمور بعد أن فرغت من محتواها، كما أكل

البعض بقايا الثمار التي كانت سابقًا توضع للماشية"[10]، وهو الأمر الذي شهدناه في أحداث غزة الأخيرة وانتشار المجاعة الناجمة عن العدوان الإسرائيلي المتواصل على قطاع غزة منذ أكتوبر 2023، فقد اضطر الشعب الفلسطيني إلى الاستعانة بالعلف الحيواني وأعلاف الطيور وتحويله إلى دقيق يخبز لإطعام الأطفال الجياع، وقد تسبب هذا الأمر إلى مشاكل صحية عند الأطفال الصغار، بل أن بعضهم فارق الحياة بسبب هذه المجاعة، "فلم يعد الموت غريبًا علينا بل أصبح مألوفًا جدًا فهو يمر في مديتنا كل يوم ويلتقط أطفالًا وعجائز ومرضى وجوعى"[11].

ثم يكتب الجلمود عن الحرب العالمية الثانية حينها كان في عمر السابعة، يتذكر وفاة الكثير من أهل الأحساء في تلك الفترة المؤلمة من الجوع أو من المرض فيقول:" يشهد التاريخ أن بعض الشباب سحبوا غصبًا عنهم إلى ساحات القتال للمساعدة وفي نقل المؤون والعتاد، وغير ذلك من لوازم الحرب، ومات بعضهم من التعب والإجهاد"[12].وهو ما نراه اليوم أيضًا في أحداث غزة، وهو ما يمكن القول إن "التاريخ يعيد نفسه" وأن المشهد بات يتكرر من جديد.

إذن للتاريخ حضور قوي في الرواية؛ فعلى الرغم من الأحداث التاريخية المعقدة ، إلا أن الكاتبة اجتهدت في تسليط الضوء على تاريخ الخليج العربي وما مر به من تحولات على جميع الأصعدة : الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية.

2.2 القضايا الاجتماعية الكبرى:

قاربت الروائية شعاع اليوسف باب المسكوت عنه من خلال تناولها موضوعات اجتماعية ونفسية ،تم التطرق إليها –سابقا- في الكتابات الروائية الخليجية، كقضية السحر والحسد وبعض المعتقدات القديمة، وقضية اختلاف المذاهب والصراع الممتد منذ الأزل إلى يومنا هذا، وزواج الأقارب والعادات المرتبطة بذلك، إلى جانب نظرة المجتمع للمرأة المطلقة والأرملة، ومشكلة الإرث التي بدأت تتفاقم بشكل كبير في المجتمعات العربية ومنها الخليجية، وما تخلفه من قطيعة وكره وعداوة بين الأبناء والإخوان، وغيرها من القضايا الاجتماعية

الأخرى التي أخذت حيزًا كبيرًا في الرواية، ويمكننا القول أن الروائي الواقعي يحمل رسالة مجتمعه، فيرسم صورة الإنسان الذي يعيش في هذا المجتمع الضيق.

كتب الابن الأكبر للجلمود في الدوحة:" ما أصاب أبي هو السحر الأسود! أجل السحر الذي كان يحذرنا من مجرد التفكير به مباشر للمرض أو الفشل"[13]، ثم يضيف:" إن أبي واقع تحت تأثير السحر المعقود تحت عتبة بيتنا!"[14]، ولهذا وضمن أحداث النص الروائي، تم كسر العتبة والحفر تحتها لإبطال مفعول السحر، وبناء عتبة الباب من جديد!

إن تناول موضوع السحر وإثارته هو في الغالب تأكيد على أن القصص والمعتقدات التي يرفضها المجتمع ولا يستسيغها عادة تُعد جزءًا مهمًا من التاريخ والثقافة العربية، فعلى الرغم من تضارب الآراء حول الحسد والسحر، إلا أن الله عز وجل في كتابه الحكيم ذكر الحسد والسحر لقوله تعالى :(فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى).[15] وقوله :(وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا **حَسَدًا** مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ)[16]وغيرها من الآيات التي تدل على وجود السحر والحسد على الأرض.

ومن القضايا الاجتماعية المهمة التي تناولتها الرواية؛ قضية اختلاف المذاهب والصراع الناجم عن هذا الاختلاف، فالبطل الجلمود الذي يمتد نسبه إلى سيدنا علي بن الحسين زين العابدين حفيد رسول الله (ص)، كان يسعى جاهدًا إلى الزهد والصلاح، كوالده الذي كان يفتخر بنسبه وثقافته الفريدة. فطغت الطيبة والوداعة والتقوى على شخصيته قلبا وقالبا[17]، إذ نجد الكاتبة تسلط الضوء على الكثير من المفاهيم والمغالطات والمعلومات المظللة التي يجب أن تُفهم وتُفسر بدقة متناهية، فتشير إلى "زواج المتعة" في المذهب الشيعي، فقد كتبت ابنة الجلمود الصغرى التي عاشت حياة الرفاهية والبذخ، وترملت في شبابها بعدما توفى زوجها بالسكتة القلبية :" كان يريدني لزواج المتعة الذي يعتبر ساري المفعول في مذهبنا"[18]، فمن خلال هذه الجملة توصل الكاتبة رسالة بضرورة احترام الأديان والمذاهب، وضرورة فهم الدين الإسلامي والأديان الأخرى فهمًا صحيحًا، والوعي بمسألة الاختلاف، فـ "العقائد التي تأمر بها

سلطة خارجية وتطالبنا بممارستها لا يمكن أن تكون سوى قواعد، والقاعدة جامدة جمود الحروف المؤلفة منها كلماتها"[19]، ومثل تلك العقائد قد تتعارض مع الحياة ورقي الإنسان، حالها حال نظرة بعض المجتمعات العربية والخليجية للمرأة المطلقة والأرملة، والانجذاب لجسدها فقط، واعتبار الارتباط بها عيبًا وجريمة لا تغتفر!

3.2 قضايا المرأة الخليجية:

منحت شعاع اليوسف؛ المرأة مساحة كبيرة في الرواية، فقد أبدعت في رسم الشخصيات النسائية، ودورها المركزي في المجتمع، فعلى الرغم من أن بطل الرواية الجلمود أعطى زوجاته الثلاثة وبناته كافة حقوقهن، سواء في التعليم والصحة والوظيفة، فقد كتبت ابنته الكبرى من الدوحة:" كان أبي يحب البنات حبًا جمًا، ولن أنسى دفاعه المستميت عني عندما ضربني أخي الأوسط، بل استدعى أبي الشرطة للقبض عليه، لولا تدخل أمي لوقع أخي بين قضبان السجن"[20]، في دلالة على حب الجلمود الكبير لبناته وعطفه عليهن.

إلا أن الرواية تطرقت إلى بعض القضايا المصيرية التي تواجه المرأة في المجتمعات العربية سيّما الخليجية، كقضية الطلاق والنظرة الدونية للمرأة المطلقة واستغلالها جسديًا وماديًا، والأمر نفسه ينطبق على المرأة الأرملة، فالرجل العربي ما زال ينظر إلى المرأة المطلقة والأرملة على أنها فريسة سهلة، ويظنها هشّة من الداخل، ولا تستطع السيطرة على نفسها، فأحدهم يقول: "عندما يستبد بهن الشبق يتظاهرن بالتسوق، ويطلن المكوث في الأسواق"[21] ليأتي ذلك الرجل ويصطادها بكل سهولة ويسر، وهو ما يؤكد على ضرورة إصلاح النفس بمعنى "الشفاء من العلل والأسقام والأمراض النفسية التي تعاني منها الجماهير العربية بسبب تراكم أسباب الاكتئاب ذات الجذور السياسية والاجتماعية والثقافية والتاريخية والتي تنتقل العدوى بين الفئات والأجيال"[22].

كما ناقشت الرواية ظاهرة السفور وهروب بعض الفتيات من بيوتهن في بعض دول الخليج العربي، فسلطت الضوء على ظاهرة التخلي عن الحجاب الإسلامي في سنوات

السبعينيات من هذا القرن، بدأت هذه الظاهرة في مملكة البحرين، فقد هجرت بعض النساء المترفات لبس العباءة والشيلة بدعوى التحضر، ثم انتشر السفور في الكويت ومنها إلى الإمارات، فيما ظلت نساء قطر والمملكة العربية السعودية ملتزمات بالعباءة والحجاب[23]، وقد تزامنت ظاهرة السفور مع هروب بعض الفتيات من دول الخليج العربي إلى مصر ولبنان ودول أوروبا، ربما هربًا من الحجاب واللباس المحتشم أو بدعوى التحرر كما جاء في الرواية.

واستنكرت الرواية هروب الفتيات مع سائق السيارة الذي يقطن معهم في المنزل نفسه، وفي بعض الأحيان ترجع الفتاة نادمة تائبة بعد أن تذوق الويل من رفيقها في السفر، إلا أن بعض الأسر من الصعب جدًا تقبل توبة هذه الفتاة وقد ينزل عليها أشد أنواع العقاب والقسوة! فظاهرة تخلي الفتيات عن الحجاب وهروبهن إلى دول أخرى لم تكن عبثًا، بل نتيجة التكنولوجيا الحديثة التي عززت للحراك النسويّ المستورد من الغرب، فقد كرست العديد من الفلسفات والإيديولوجيات الغربية جهودها على "تحقير المرأة والحط من قيمتها"[24] والترويج لفكرة وجود المرأة مقترن بوجود سيدها الرجل، ومن دونه لا يمكن أن تحقق ذاتها، وهذا ما كان يقوله جون جاك روسو، وغيره من فلاسفة الغرب، حتى باتت النساء يتمردن على واقعهن بحجة البحث عن حياة أفضل! والحقيقة باتت مؤلمة.

4.2 التصوف والزهد:

شخصية "الجلمود" متعددة الانشغالات؛ المنطق واللغة والشعر والنثر، إذ نجد الروائية ترسم للبطل صورة تعشق التأمل ومناجاة نفسها، وتقوى الله في أدق التفاصيل، وهي الأقرب إلى شخصية محيي الدين بن عربي الذي قام باثني عشر سفرًا في محاولة منه لتطهير قلبه وتهذيب نفسه.

فيذهب الجلمود إلى علم الطاقة والتربية الروحية وأثر ذلك في تهذيب النفس، إلى جانب العلاج بالتأمل بحيث يتم ترك العقل يعمل بهدوء دون مقاطعة تيار الأفكار مع ضرورة توجيه الأفكار بحيث تكون إيجابية حتى يدخل الفكر في سبات وسكينة[25]، مع توظيف الآيات القرآنية، فلا تكاد تخلو صفحة في الرواية من ذكر الله، فهو يرى أن "أصل شقاء الفرد هي الرغبات والأماني التي لا تنتهي؛ لأنها تفرز من النفس والعقل معًا، وقد لا يتحقق بعضها، ولو تحققت كلها لطلب الفرد المزيد منها أو غيرها"[26]، لذا كان الجلمود في يومه يحرص على الهدوء والسكون والخشوع أثناء الصلاة، وممارسة العلاج بالتأمل العقلي الروحي الذي بات اليوم علمًا معترفًا به وله مراكز خاصة، لعلاج الاكتئاب وبعض الاضطرابات العقلية والنفسية وتقوية المناعة وتحمل الآلام.

كما قاربت الرواية قانون "السرنديب" وهو جزء أصيل من الطبيعة ذاتها لا خارج عنها، أي جزء من ترتيبات القدر الذي كتبه الله علينا، ويمكن عدّه بمثابة خريطة يسير عليها الفرد حسب القدر المكتوب له، أي أن لا شيء يحدث صدفة، فـ "تتابع الأحداث في الدنيا لا يحدث عشوائيًا، بل يخضع لقانون يسمى السرنديب"[27] ذلك أن القدر هو من يحدد الأماكن والمواقيت الدقيقة لدخول الأشخاص وخروجهم من حياتنا.

ويتبين من ذلك مدى تقارب شخصية الجلمود مع شخصية ابن عربي الذي كان في كثيرًا من الأحيان يلجأ إلى التأمل والتدبر، وهي الخطوة التي سار عليها الجلمود فقد عاش زاهدا على الرغم من أمواله وثرائه، فلم تهزمه الشهوات ولا ملذات الدنيا، فكان حكيمًا، عاقلًا، يحرص على صلة الرحم، والتواصل مع إخوته الذين خذلوه.

5.2 التراث وتأصيل الهويّة:

يشكل التراث مكانة مهمة في الثقافة العربية الإسلامية، فهو يعد بمنزلة الذاكرة الشعورية واللاشعورية التي يخزنها الإنسان العربي، فالعودة إلى الماضي وفهمه جيدًا

واستيعابه بشكل متأن وقراءته قراءة سياقية وظيفية يسهم في فهم الحاضر، وتنويره بطريقة إيجابية بناءة وهادفة.

فتوظيف التراث في الرواية هو توليد دلالات جديدة في التجربة الروائية وإعادة خلق الإبداع، وفي رواية "ملحمة الجلمود" يحتل التراث موقعًا استراتيجيًا مهمًا، إذ استطاعت الروائية أن تربط الماضي بالحاضر، وأن تكشف لنا أسرار التراث العربي ومكنوناته، من خلال قراءة التراث الخليجي وتفاصيل شؤون الحياة في الخليج العربي، كاستعمال بعض الكلمات التراثية القديمة مثل "السكة" وهي دروب الحي الضيقة التي تفصل بين المنازل[28]، و "الروشنة" وهي فجوة في الجدار تستعمل كالرف وتوضع عليها أدوات الزينة والعطور وغيرها[29]، "مطراش" أي مرسال حمال للبضائع من وإلى[30]، و "الجليب" و"الفريج" و"البرمة"[31] وغيرها من الكلمات التراثية القديمة التي بدأت تندثر بعضها، وبعضها الآخر مستمرة حتى يومنا هذا.

ثم تقف الروائية على مدى تأثر أهل الخليج باللغات الأخرى كالفارسية والهندية، فنجد استعمال واسع لبعض الكلمات الأعجمية، ككلمة " خوش" أي ممتاز، و "تخت" يعني السرير، وكلمة "دروازة" أي البوابة الكبيرة، و"دولجة" أي أبريق الزجاج،[32] "التنور"[33]، و"البشتخته"[34]،وغيرها من الكلمات الفارسية والهندية، و يذكرنا هذا بمقولة "إننا ضيوف اللغة"[35] وهو تعبير يشير إلى أننا عادة نقيم عند أي لغة فننعم بخيراتها ونبقى فيها لوقت طويل[36] حتى تصبح جزءًا منا ومن ثقافتنا.

وتعرج الروائية على الملابس الشعبية لأهل الخليج كارتداء الرجال "البشت" في المناسبات الاجتماعية، وهو عبارة عن عباءة تكون من الصوف للشتاء أو قماش خفيف للصيف[37]، وأيضًا ارتداء الفتيات اللاتي يبلغن سن البلوغ "البخنق" وهو غطاء يكسو الرأس والصدر معًا وتتزين أطرافه بخيوط مذهبة ذات تطريز جميل، ولباس البخنق يعد الحجاب الكامل للفتاة الصغيرة في ذلك الزمان[38]، وأيضًا "الديرم" من أدوات تزيين المرأة آنذاك، وهو عبارة عن "لحاء شجر الجوز يدق على الشفاه بعد أن يبلل بالماء، حتى يصبغها باللون الأحمر

القاني"[39]، وغيرها من الملابس والأدوات التي كانت تدوينها في الرواية، إلى جانب المأكولات الشعبية كـ "العصيدة"، "الخبيصة"، "البلاليط"، والجريش" و"الهريس"[40]، التي يتميز بها أهل الخليج.

وأيضًا تناولت الرواية الأمثال والأهازيج الشعبية المرتبطة عادة، بالمناسبات الاجتماعية والدينية، فمن الأهازيج الشعبية التي كان ينشدها الأطفال مع صوت تدفق المطر "يا غيم ارزم ارزم وخلي المرزام ترزم"[41] و " طيح يا مطر طيح، بيتنا جديد، ومرزامنا جديد"[42]، أما فيما يتعلق بالمناسبات الشعبية فقد ذكرت الروائية المناسبات الدينية الشعبية مثل "القرنقعوه (ليلة منتصف رمضان)، والناصفة (ليلة منتصف شعبان)"[43]، إلى جانب الأمثال الشعبية مثل "لولا الحسد ما مات أحد"[44]، و "من لا يدفع يوم الخميس يخيس"[45]، و"عتيق الصوف ولا جديد البريسم"[46]، و "لا يطعمك شهد مكنون، إلا الصديق الوافي"[47] وغيرها من الأمثال والأهازيج الشعبية التي باتت تتوارث جيلًا عن جيل.

إضافة إلى ما سبق؛ سلطت الروائية الضوء على تاريخ الخليج، ومدى تمسك أهلها بشجرة النخيل التي كانت تحتل حيزًا كبيرًا من أراضي الأحساء، فـ"معظم أهالي هذه المنطقة، يمتلكون مزارع النخيل المتفاوتة في العدد والمساحة"[48]، ذلك أن النخلة ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بالتراث الخليجي، إذ كانت مصدر الغذاء والمأوى والأمن والأمان ومصدرًا للرزق من خلال استعمال رطبها وتمورها في الغذاء وجذوعها في التشييد والبناء، وخوصها في صناعة أدوات السفرة والحصير، وجريدها في صناعة بعض أنواع القوارب الصغيرة لصيد الأسماك، وليفها في صناعة الحبال.

والأمر نفسه مع البحر، فقد ارتبط الإنسان في الخليج بالبحر على امتداد التاريخ، وفي الرواية نجد قراءة واسعة في تاريخ الخليج قبل ظهور النفط واللؤلؤ الصناعي، ومدى ارتباط حياة الإنسان الخليجي بالبحر، إذ كانت سواحله وجزره موطنًا لإقامته، ومياهه مصدرًا لرزقه وغذائه، فقد كان صيد السمك وتجفيفه، ثم الغوص من أجل جمع اللؤلؤ في المهن المعتادة

لديهم، إلى غاية حدوث عاصفة عام 1925، إذ أغرقت البلاد والعباد ، ومات بسببها حوالي ثمانية آلاف شخصا، وسميت هذه السنة بسنة "الطبعة" أي الغرق، لأنها تسببت في غرق 80% من المراكب الشراعية والسفن الكبيرة، وتدمير معظم المراكب الراسية على السواحل، حتى عم الفقر في دول الخليج وهلك الكثير من الأهالي، كما هاجر البعض في تلك السنوات الصعبة[49].

يمكن القول إن ملحمة الجلمود؛ ليست راوية تاريخية فحسب، بل توثيق للتراث الشعبي الخليجي، الذي يتيح للقارئ العودة إلى الماضي، وفهمه جيدًا، واستيعابه بشكل واع ومتأن، فـ "الحديث عن القديم يمكن من رؤية العصر فيه، وكلما أوغل الباحث في القديم، وفك رموزه، وحلّ طلاسمه، أمكن رؤية العصر"[50]، ذلك أن التراث ركيزة أساسية من ركائز الهويّة الحضارية والثقافية، ويحمل عناصر متجددة ومتعاقبة، وهو استلهام للماضي واستحضار الحاضر، واستشراف المستقبل.

3. الخاتمة:

يتضح مما سبق أن رواية ملحمة الجلمود، هي بمثابة مرجعا تاريخيا وتراثيا يمكن أن يعود إليه الباحث والدارس، فهي أشبه بالبحر المكنون، بها تفاصيل كثيرة ووقائع حقيقية حدثت في الخليج بين الأعوام (1932-2018) وفيها وصف بديع للطبيعة والنخيل والشعر والتراث الشعبي الخليجي وكل ما يتعلق بتفاصيل شؤون الحياة في الخليج العربي، ولكن ثمة مآخذ على الرواية ونلخصها فيما يلي:-

-الرواية وثقت أحداث تاريخية مهمة كاستقلال الأحساء، وسنة الطبعة، وحادثة الطحين، وغير ذلك من الأحداث التاريخية التي وقعت في منطقة الخليج العربي خلال الفترة ما بين (1932-2018)، دون الإشارة إلى المصادر والمراجع التي تم الاعتماد عليها في نقل هذه الأحداث

التاريخية المهمة، فلم تذكر الكاتبة المصادر التي استندت إليها الأمر الذي يشكل نقطة ضعف للرواية.

-بعض الموضوعات التي جاءت في الفصل الخامس؛ تم نقلها وإقحامها في الرواية، ولم يتم توظيفها بالشكل الصحيح، مما قد يسبب للقارئ تشتتا فكريا، فأغلب الموضوعات غير متصلة ببعضها، كـ "تطور الحياة الحديثة في قطر بداية العام 1955"، والتعرج على التساؤلات التي يطرحها المراهق "نموذج من تساؤلات المراهق"، ثم تسليط الضوء على تدشين حديقة القرآن في الدوحة 2016، وحادثة تناول الطحين الملوث بالمبيدات الحشرية عام 1966، إلى جانب التطرق إلى ظاهرة السفور وهروب الفتيات من ذويهن في بعض دول الخليج العربي، وأيضًا افتتاح "متحف ابن جلمود " في عام 2015، وهو البيت الذي كان ملكًا لرجل سعودي الأصل، يجمع فيه العبيد للبيع والشراء والمتاجرة فيهم بصورة غير قانونية، وقد تحول هذا البيت إلى متحف من متاحف منطقة مشيرب في قطر، وفي التفاته مهمة يبين بطل الرواية الجلمود بأن لا علاقة له بـ "ابن جلمود" صاحب البيت، لا من قريب ولا من بعيد، لكنه مجرد تشابه في الأسماء فقط.

- افتقار الرواية إلى وصف ملامح الشخصيات، باستثناء والد الجلمود الذي وصفه ابنه الجلمود بـ "طويل القامة، نحيل الجسم، أبيض البشرة، مشرب بحمرة"[51]، بينما الشخصيات الأخرى غابت ملامحها وأوصافها عن الرواية. فوصف ملامح الشخصيات، يسهم في تطور الحبكة الروائية وتطور القصة، فيما احتوى الفصل السادس على خمس صفحات فقط وخصصت جميعها للابن البكر للجلمود الذي كتب رأيه الشخصي في أبيه دون غيره، ومقارنة بالفصول الأخرى يُعد الفصل السادس قصير جدًا.

-المخطوطات والمذكرات التأملية التي كُتبت بخط الجلمود تم نشرها كملاحق في الرواية، كان الأجدر ضمها في الفصل السادس الذي لم يتجاوز عدد صفحاته ست صفحات، ونشرها بحيث تتزامن مع رسالة الابن البكر للجلمود.

قائمة المصادر والمراجع:

- -القرآن الكريم.
- -الهلالي، محمد، 2014، "التاريخ.. دفاتر فلسفية"، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب،.
- -النشار، مصطفى، 1997، "من التاريخ إلى فلسفة التاريخ.. قراءة في الفكر التاريخي عند اليونان"، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- -اليوسف، شعاع، 2021، رواية "ملحمة الجلمود"، زحمة كتاب للنشر والتوزيع، مصر.
- -شحيّد، جمال، 2019، "الرواية.. مقدمات قصيرة"، دار كتارا للنشر، قطر.
- -موسى ، سلامة، 2012، "حرية الفكر وأبطالها في التاريخ"، وزارة الثقافة، قطر.
- -الهروي، الهادي، 2013، "الأسرة والمرأة والقيم (تساؤلات سوسيولوجية في قضايا المرأة)"، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب.
- -كيليطو؛ عبد الفتاح، 2012، "لن تتكلم لغتي"، دار الطليعة، بيروت، لبنان.
- -حنفي، حسن، 2019، "التراث والتجديد؛ موقف من التراث القديم"، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة.

[1] كاتبة قطرية تحمل درجة بروفيسور في علوم التركيب الدقيق للخلايا العصبية الإفرازية، عملت بالتدريس النظري والعملي لعلوم الخلية والأنسجة والتقنيات المجهرية.

[2] الهلالي، محمد، 2014، "التاريخ.. دفاتر فلسفية"، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ص16.

[3] النشار، مصطفى، 1997، "من التاريخ إلى فلسفة التاريخ. قراءة في الفكر التاريخي عند اليونان"، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص50.

[4] اليوسف، شعاع، 2021، رواية "ملحمة الجلمود"، زحمة كتاب للنشر والتوزيع، مصر، ص 11.

[5] المصدر نفسه؛ ص11.

[6] المصدر نفسه، ص24.

[7] المصدر نفسه، ص25.

[8] شحيّد، جمال، 2019، "الرواية.. مقدمات قصيرة"، دار كتارا للنشر، قطر، ص105.

[9] المصدر نفسه، ص107.

[10] الرواية، ص45.

[11] المصدر نفسه، ص46.

[12] المصدر نفسه، ص47.

[13] الرواية، ص13.

[14] المصدر نفسه، ص13.

[15] سورة طه/ آية 58.

[16] سورة البقرة/ آية 109.

[17] ينظر؛ الرواية، ص43.

[18] المصدر نفسه، ص27.

[19] موسى ، سلامة، 2012، "حرية الفكر وأبطالها في التاريخ"، وزارة الثقافة، قطر، ص167.

[20] الرواية، ص19.

[21] المصدر نفسه، ص246.

[22] الهروي، الهادي، 2013، "الأسرة والمرأة والقيم (تساؤلات سوسيولوجية في قضايا المرأة)"، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب،ص66.

[23] ينظر، الرواية، ص 242.

[24] الهروي؛ الأسرة المرأة والقيم، ص52.

[25] ينظر، الرواية، ص173.

[26] المصدر نفسه، ص175.

[27] المصدر نفسه، ص172.

[28] ينظر، الرواية، ص57.

[29] ينظر، المصدر نفسه، ص56.

[30] ينظر، المصدر نفسه، ص53.

[31] ينظر، المصدر نفسه، ص41.

[32] ينظر، المصدر نفسه، ص86.

[33] ينظر، المصدر نفسه، ص280.

[34] ينظر، الرواية، ص281.

[35] كيليطو؛ عبد الفتاح، 2012، "لن تتكلم لغتي"، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ص100.

[36] ينظر، المصدر نفسه، ص100.

[37] ينظر، الرواية، ص62.

[38] ينظر؛ المصدر نفسه، ص54 وص55.

[39] المصدر نفسه، ص63.

[40] ينظر، المصدر نفسه، ص282.

[41] المصدر نفسه، ص74.

[42] المصدر نفسه، ص74.

[43] الرواية، ص55.

[44] المصدر نفسه، ص54.

[45] المصدر نفسه، ص59.

[46] المصدر نفسه، ص294.

[47] المصدر نفسه، ص294.

[48] المصدر نفسه، ص275.

[49] ينظر، الرواية، ص87 وص88 وص89.

[50] حنفي، حسن، 2019، "التراث والتجديد؛ موقف من التراث القديم"، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ص22.

[51] الرواية، ص42.